فضل العقيدة وأصولها

وأنه لم يثبت في منتصف شعبان عمل فاضل يختص به

خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٩ شعبان ١٤٣٨ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إنّ دينكم -دين الإسلام- دين العلم والبصيرة، يحثّ على العلم، ويرفع من شأن أهل العلم، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزمر:٩].

وإنما يتفاضل الناس حقيقةً وشرعًا بتفاضلهم في الإيمان والعلم والتقوى، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات:١٣].

فالناس في الدنيا يتفاضلون يا عباد الله، وتفاضلهم إنّما هو بمقدار تفاضلهم في الإيمان، وتفاضلهم في العلم، وتفاضلهم في التقوى.

وكما أن الناس يتفاضلون فإن العلم يتفاضل يا عباد الله، وبعضه أفضل من بعض، وإن أشرف العلوم وأزكاها، وأولاها وأعلاها، وأحبّها إلى المؤمن: هو العلم الذي يتعلق بربّنا ﷻ، هو علم العقيدة، فالمؤمن -يا عباد الله- يحب العقيدة، ويسعى إلى تحقيقها، لا يملّ من سماعها، وإذا وجد روضةً من رياض الذكر تُعَلَّم فيها العقيدة فرح بها، وأنس إليها، وأصبح يتردّد عليها، فإن العقيدة -يا عباد الله- متعلقة بربّنا، فكيف لا يأنس العبد بعلم يتعلّق بربّه ﷻ؟

وإن علم العقيدة -يا عباد الله- يعود إلى أصول ستة ذكرها النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته -المسمَّى بحديث جبريل عليه السلام- وقد جاءت عند مسلم: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه».

الأصل الأول: أن تؤمن بالله، وهذا أشرف العلوم، وتتبعه العلوم، فلا شرف لعلم إلا إذا كان تابعًا له، وهو أصل الأصول، وكل أصل يُرَدّ إليه، أمر الله عز وجل به الأزكياء والأنبياء، وأمر عباده جميعًا، ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، فما عَلِمَ عبدٌ علمًا أشرف ولا أزكى من علمه بالله عز وجل.

أن تؤمن -يا عبد الله- بالله عز وجل، وهذا يكون بأمور أربعة:

الأول: أن تؤمن بوجود الله عز وجل، وهذه الحقيقة المطلقة قد تضافرت الأدلّة كلها على إثباتها؛

- فالآيات الكونية تدل على وجود ربنا سبحانه وتعالى.
- والآيات النفسيّة تدل على وجود ربنا سبحانه وتعالى.
- والآيات الفطرية تدل على وجود ربنا سبحانه وتعالى.
- والآيات الشرعية تدل على وجود ربنا سبحانه وتعالى.

ومَن أنكر وجود الله فهو منابذ للشرع، فاسد الطبع، فاسد الفطرة، فاسد العقل، لا خير فيه، ولا يُرتجى منه خيرٌ ما دام على حاله هذه.

وأما الأمر الثاني: فهو أن تؤمن بربوبيّة الله عز وجل، فتُوَحِّد الله في أفعاله سبحانه وتعالى، تؤمن أن الله يفعل ما يريد، أن الله يَحكُم ما يريد، أن الله يفعل ما يريد ويُحكِم ما يشاء، وهو على كل شيء قدير، وتُثبت لله عز وجل الكمال المطلق في أفعاله سبحانه وتعالى، فلا رازق إلا الله، ولا محيي إلا الله، ولا مميت إلا الله سبحانه وتعالى، تؤمن بأفعال الله عز وجل، وأنها عن حكمة تكون، وأن فيها الكمال المطلق لربّنا سبحانه وتعالى.

وهذا الأمر قد آمن به أكثر الخلق منذ خُلِق آدم إلى يومنا هذا، ولا ينكره إلا الشذّاذ، وحقيقة الأمر أنهم ينكرونه بألسنتهم وهو مستقرّ في قلوبهم.

وأمّا الأمر الثالث: فهو أن تؤمن بالله عز وجل في ألوهيته، وأنه سبحانه هو المستحق للعبادة، وأن الخلق كلهم -إنسهم، وجنّهم، وملائكتهم، وشجرهم، وأحجارهم، وكل المخلوقات- لو اجتمعت في

مخلوق واحد لما استحقّ شيئًا قليلاً من العبادة، فإن العبادة إنما هي لله ﷻ، تؤمن بهذا يا عبد الله، تؤمن به على وجه اليقين، بلا شك ولا ريب، وتُحقّقه في نفسك، فتجعل عبادتك كلها لله ﷻ.

وهذا الأمر -يا عباد الله- لا يتحقّق الإيمان بالأول والثاني إلا به، ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف:١٠٦].

وذلك أن كفار قريش -يا عباد الله- كانوا يؤمنون بوجود الله، وكانوا إذا سُئلوا: من خَلق؟ من رَزق؟ قالوا: الله، لكن إذا طُلب منهم أن يعبدوا الله وحده قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ﴾ [ص:٥]، فهم مشركون بالله ﷻ.

فيا عبد الله، يا من آمنت بالله، وآمنت برسول الله ﷺ، اعلم أنّ حق ربّك المطلق: ألّا تصرف شيئًا من العبادة إلا له ﷻ، حياتك لله، ومماتك لله، ونسكك لله، صلاتك لله، زكاتك لله، دعاؤك لله، استغاثتك بالله ﷻ.

وأما الأمر الرابع: فهو أن تؤمن بالله بأسمائه وصفاته، ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ تعلم أنه لا أحد أعلم بالله من الله، ثم رسول الله ﷺ، ثم مَن فَهِمَ مِن رسول الله ﷺ، فتُثبِت أسماء الله وصفات الله على ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، وعلى ما فَهِمَهُ صحابة رسول الله ﷺ، تُثبِتها على ظاهرها من جهة المعنى، على ما يليق بجلال الله ﷻ، فلا تُؤَوِّل، ولا تُشَبِّه، ولا تُكَيِّف، وإنما تؤمن بها كما آمن بها صحابة رسول الله ﷺ أخذًا عن رسول الله ﷺ.

والأصل الثاني في العقيدة: أن تؤمن بملائكة الله ﷻ، وأنهم خلقٌ خَلَقَهُم الله ﷻ من نور، يفعلون ما يُؤمَرون، فلا يلحقهم عجزٌ عمّا خُلقوا من أجله، ولا معصيةٌ لله ﷻ إذا أمرهم ﷻ، تؤمن بأسماء من علمنا أسماءهم منهم، وتؤمن بأعمالهم، وتؤمن بوظائفهم، وتؤمن ببقيّتهم على وجه الإجمال، على ما أخبرَنا الله ﷻ به في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ.

والأصل الثالث في علم العقيدة: أن تؤمن برسل الله ﷻ، وأنهم عباد من عباد الله، أرسلهم بدينه إلى عباده، تؤمن بهم، تؤمن بأسماء من علمنا أسماءهم منهم، وبدينهم، وتؤمن بأنهم قد أجمعوا جميعًا على التوحيد، وأنهم بُرآء ممّا ينسبه إليهم الجهّال من أنواع الشرك بالله ﷻ، وتؤمن بأنهم قد بلّغوا الرسالة، وجاهدوا في الله حقّ الجهاد، وما كتموا، وما قصّروا، عليهم الصلوات والسلام.

تؤمن برسل الله ﷻ على ما جاء في كتاب الله وعلى ما جاء في سنة رسول الله ﷺ، وتؤمن أن خاتمهم وسيّدهم هو محمد ﷺ، فليس لأحد بعد بعثة محمد ﷺ أن يَدِينَ بِدِينٍ غير الدّين الذي جاء به محمد ﷺ، وأنه لو كان هنالك نبيّ حيّ بعد بعثة النبي ﷺ لَمَا وسعه إلا أن يتّبع النبي ﷺ.

والأصل الرابع من أصول العقيدة وعلم العقيدة: أن تؤمن بكتب الله التي أنزلها على رسله، وأن تؤمن أن الله أنزل كتبًا على رسله، منها ما علمناه باسمه، ومنها ما لم نعلم، فنعتقد ما علمنا أسماءه منها بأسمائها، وما لم نعلم أسماءه منها نعتقد أن الله أنزل على رسله كتبًا.

والأصل الخامس من أصول العقيدة، وهو من علوم العقيدة: أن تؤمن باليوم الآخر، فتؤمن بما يكون لك عند موتك، وما يكون بعد موتك، ما يكون في القبر من سؤال وفتنة، ومن نعيم أو عذاب، وما يكون في البعث، وما يكون في الجنة والنار، كما أخبرنا الله ﷻ وأخبرنا رسوله ﷺ.

والأصل السادس من علم العقيدة: أن تؤمن بالقدر خيره وشرّه من الله ﷻ، فتؤمن أن الله ﷻ أحاط بكل شيء علمًا، وأنه سبحانه عَلِمَ كلّ شيء، وأنه أمر القلم فكتب كل ما علم في كتابٍ عنده ﷻ، وأنه قد شاء، فهو سبحانه لا يكون في كونه ولا من خلقه إلا ما يشاء ﷻ، وجعل لعباده مشيئةً تحت مشيئته، يعملون بها، ويتصرّفون بها، وتؤمن أن الله ﷻ خلق كل شيء، فالله خالق كل شيء ﷻ، خلق الخير وخلق الشر، والشر ليس إلى الله ﷻ، لأنه لا يخلق سبحانه إلا عن حكمة تامّة، فخَلقُه كلّه بالنسبة له خيرٌ، لأنه عن حكمة تامّة كان.

فإذا علمت ذلك –يا عبد الله– فقد علمت العقيدة، هذه أصول أشرف العلوم، ينبغي على المسلم أن يتعلّمها وأن يحرص عليها.

فيا عباد الله، يا من أكرمكم الله بأن كنتم مِن أتباع رسول الله ﷺ، اعرفوا للعقيدة شرفها، واعرفوا لها فضلها، وارفعوها إلى مكانتها، وتعلّموها، اقرأوا في كتب أهل السنة، ولا تملّوا من ذلك، واستمعوا لعلماء أهل السنة، فإنّ لكم في ذلك أجرًا عظيمًا، وخيرًا كثيرًا، اتقوا الله عباد الله، وتعلّموا، وكونوا من أهل العلم، لعلكم تفلحون.

فاللهمّ يا ربنا، ارزقنا علومًا نافعة، وقلوبًا خاشعة، ودعاءً مسموعًا، وعملاً صالحًا مرفوعًا.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولكل مسلم ومسلمة، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا معاشر المؤمنين:

إن يوم النصف من شعبان -بِلَيله ونهاره- لم يثبت فيه تخصيص بعمل ولا بقول، فلم يثبت في شرعنا أنّ نهار النصف من شعبان يُخَصّ بالصوم أو بذكر أو بقراءة للقرآن، ولا أن ليلة النصف من شعبان تُخصّ بقيام أو ذكر أو دعاء مخصوص، فإنّ كل هذا -يا عباد الله- لم يثبت.

وما يُشاع اليوم في وسائل التواصل الاجتماعي وفي بعض الفضائيّات، من أحاديث فيها الحثّ على صيام يوم النصف من شعبان وعلى قيام ليلة النصف من شعبان، وفيها الحثّ على كثرة الدعاء في ليلة النصف من شعبان، وأنه لا يُردّ فيها الدعاء، وفيها الحثّ على الاستغفار في ليلة النصف من شعبان خاصّة، كلّ هذه الأحاديث -يا عباد الله- إمّا موضوعة وإمّا ضعيفة جدًّا أجمع العلماء على ضعفها، فلا يقف عندها المسلم، ولا يبني عليها المسلم شيئًا.

وإنما ورد في ليلة النصف من شعبان حديثان اختلف فيهما أهل العلم:

أما الأول: فقول النبي ﷺ: «إذا انتصف شعبان فلا تصوموا».

وقد اختلف أهل العلم في هذا الحديث، ما بين مُضعّفٍ له وما بين مُصحّحٍ له، والراجح والتحقيق: أن الحديث صحيح، وأن معناه: إذا انتصف شعبان فلا تبتدِئوا الصوم من أجل رمضان، أما من كان عليه قضاء ولّما يقضِ فله أن يقضي في النصف الثاني من شعبان، وكذا من كان يصوم في النصف الأول، فإن له أن يصوم في النصف الثاني، وكذلك -يا عباد الله- من كان متعوّدًا على صيام الإثنين والخميس، فإن له أن يصوم الإثنين والخميس في النصف الثاني من شعبان، وكذلك -يا عباد الله- من كان يريد الصوم في النصف الأول، إلا أنه منعَه من ذلك مانع، كمرض أو شغل، فتيسّر له الصيام في النصف الثاني من شعبان، فإن له أن يصوم، ولو لم يكن قد صام في النصف الأول، هذا هو الراجح والتحقيق من كلام أهل العلم في هذه المسألة.

وأما الحديث الثاني: ففيه أن النبي ﷺ قال: «إن الله يطّلع على جميع خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن».

وقد اختلف العلماء في هذا الحديث، ولا شك -يا عباد الله- أن أسانيد الحديث المفردة ضعيفةٌ ولا شك، لكن هل مجموع طرق هذا الحديث، واختلاف ألفاظه، وتعدّد مخارجه عن الصحابة، يقوّيه ويدل على أنّ له أصلاً؟ اختلف علماؤنا في هذا، وبالمراجعة والتحقيق، والمدارسة والتدقيق، يتبيّن -والله أعلم- أنّ لهذا الحديث أصلاً، لكن هذا الحديث إنما فيه بيان أمر من ربنا ﷻ، يتكرّم به على من يستحقّه من خلقه بفضله ﷻ، ألا وهو: أنه ﷻ يغفر لجميع الموحّدين إذا خلت قلوبهم من الحقد والشحناء.

فمن كان موحّدًا وكان قلبه سليمًا على المؤمنين، ليس في قلبه حقد على مؤمن ولا شحناء لمؤمن، فإنه يُرجى أن يغفر الله له في تلك الليلة، أما المشرك بالله ﷻ فإنه محروم من ذلك.

ويدخل في ذلك -يا عباد الله- من أشرك بالله الشرك الأكبر، أو أشرك بالله الشرك الأصغر، أو أشرك بالله الشرك الخفي، فإنها كلها تدخل في الإشراك بالله ﷻ، وإلا المشاحن الذي في قلبه حقد على مؤمن وشحناء مع مؤمن، فإن الله ﷻ يُمهِل الكافرين ويؤخّرهم، ويدع أهل الحقد إلى أن يتركوا حقدهم.

وإن السلامة من الشرك والسلامة من الشحناء بين المؤمنين مطلوبة من المؤمن في كل حين، في ليلة النصف من شعبان، وقبل ليلة النصف من شعبان، وبعد ليلة النصف من شعبان، فالواجب على المؤمن أن يحرص على التوحيد، وأن يحذر من الشرك حذرًا شديدًا بكل أنواعه، وأن يحرص على أن يكون قلبه سليمًا للمؤمنين.

واعلموا -عباد الله- أنّ ما يفعله بعض الناس من إرسال رسائل إلى الناس: سامحوني في ليلة النصف من شعبان، لا أصل له، ولا يجوز فعله، إلا إذا كان الإنسان يعلم أن بينه وبين مسلم معيّن شحناء، فإنه يسعى لأن يتخلّص منها من اليوم -من اليوم!- وليس فقط عند ليلة النصف من شعبان.

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أنه لا يفسد على الناس دينَهم إلا العواطف الجيّاشة، والأهواء المُتَّبَعَة، وشياطين الإنس والجن، فاتقوا الله عباد الله، واشكروه على نَعمائه، والزموا سنة رسول الله ﷺ، لعلكم تفلحون.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله أمرنا بأمر عظيم شريف، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنّى بملائكته، فقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه بها عشرًا».

فاللهمّ صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلّم تسليمًا كثيرًا، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارض عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ إنك ترى مكاننا، وتسمع كلامنا، اللهمّ قد أحصيتنا عددًا، اللهمّ فاغفر لنا أجمعين، وارحمنا أجمعين، واجعلنا جميعًا من المرضيّين، اللهمّ واقبل شفاعتنا فيمن شفعنا فيه يا رب العالمين، واغفر لمن دعونا له يا رب العالمين، واغفر للمسلمين والمسلمات يا رب العالمين.

إلهنا، لا حقّ لنا عليك إلا ما تفضّلت به علينا، وحقّك علينا عظيم، اللهمّ فأعنّا على حقّك وتفضّل علينا بفضلك، اللهمّ فأعنّا على حقّك وتفضّل علينا بفضلك، اللهمّ فأعنّا على حقّك وتفضّل علينا بفضلك.

إلهنا، إلهنا، إنّا عباد مقصّرون، مذنبون، مذنبون، مذنبون، قد أذنبنا وأكثرنا، وأنت الغفور الرحيم، اللهمّ فاغفر لنا مغفرة من عندك وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهمّ يا كريم، اللهمّ يا كريم، أعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمّهاتنا وأحبابنا من النار يا رب العالمين.

اللهمّ مَن علمته منّا مُحسِنًا فثبّته وزده إحسانًا على إحسانه، ومن علمته منّا مُسيئًا -وكلّنا يا ربّ مُسيء- اللهمّ فتب عليه يا رب العالمين، اللهمّ فتب عليه يا رب العالمين، اللهمّ فتب عليه يا رب العالمين.

اغفر لنا -ربّنا- واسترنا، وارحمنا يا رب العالمين.

اللهمّ كما جمعتنا في هذا المكان المبارك، في هذه الصلاة المباركة، في هذه الساعة المباركة، اجمعنا ووالدينا وأهلنا ومن نحب في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا.

اللهمّ أقرّ أعيننا بظهور التوحيد والسنة، اللهمّ أقرّ أعيننا بظهور التوحيد والسنة، اللهمّ أقرّ أعيننا بظهور التوحيد والسنة، وأقرّ أعيننا بالأمن والإيمان في جميع ديار المسلمين يا رب العالمين.

ربّنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.